

برنامج: أنا وأنت على الطريق
زواج القاصرات في العراق

صديقتي المستمعة،

هل سمعت بزواج القاصرات في العراق؟ في أحد التقارير المؤثرة الواردة مؤخرا والتي نشرتها الصحيفة العربية تحت عنوان: زواج القاصرات في العراق شاهد على اضطراب البنية الاجتماعية جاء ما يلي: تشجع البجوحة المعيشية المحدودة التي يعيشها المجتمع العراقي على انتشار ظاهرة زواج القاصرات والفتيات الصغيرات في السن من رجال يكبرونهن في العمر بشكل كبير. ورغم أن الظاهرة بحسب الناشطة النسوية أمينة حسين ، ممتدة الجذور داخل المجتمع، إلا أن الملفت هو نزوع الفتيات بأنفسهن إلى الزواج من أولئك الرجال، والسبب الرئيس هو أن الرجل غني، ويستطيع أن يوفر لها ما لا يستطيع أن يوفره الشاب المقارب لها في العمر والثقافة والمسؤولية. فإيمان مثلا هي واحدة من بين فتيات عراقيات تجبرهن الظروف على الزواج المبكر بسبب ضائقة العيش، ورغبة أسرهن في تأمين مستقبل لهن بالزواج برجل غني يكبرهن في السن. ومثل هذه الزيجات مثيرة للجدل، أولهما الزواج المبكر ، والثاني زواج المرأة برجل يكبرها في العمر كثيرا.

أما دور منظمات المجتمع المدني في التدخل في مثل هذه الحالات هو غير مرحب به بحسب تماضر محمد التي عملت لمدة ثلاث سنوات في إحدى منظمات المجتمع المدني في بابل. تقول ايضا إن الكثير من الظواهر كانت معروفة بالنسبة إلينا، لكننا كنا نعجز عن التدخل لأسباب عشائرية وشخصية. وتروي تماضر أن ظاهرة الزيجات المبكرة غالبا ما تضر بصحة الفتاة وتحرمها من التعليم. إضافة إلى احتمال فشل الزواج وتحول الفتاة إلى أرملة في مرحلة مبكرة من عمرها هو احتمال كبير جدا. وبحسب تخمينات منظمات المجتمع المدني، فإن نحو ستين بالمئة من نساء الريف يجهلن القراءة والكتابة، بسبب زواجهن المبكر ، وعدم تقبل ذويهن لفكرة استمرارهن في التعليم. ولقد استغل الكثير من المغتربين العراقيين الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة للعائلة العراقية، فقدموا الإغراءات للفتيات الصغيرات للزواج بهن، من دون علم زوجاتهم في المهجر. وتقول أميمة سالم مديرة مدرسة أن من حق الفتاة أن تتزوج في السن المناسبة للزواج منتقدة الزواج المبكر لطالبات في المدرسة. وتقول أيضا: إن غالبيةهن يتزوجن رجالا بفارق عمري كبير، حيث يشكل إرغامهن على الزواج صدمة كبيرة في حياتهن ويجبرهن على ترك التعليم. ثم إن الحمل في سن صغيرة يمثل الاضطراب الكبير في تنظيم البنية الاجتماعية للمجتمع. وتتابع القول بألم: لم يكن يحدث هذا في ستينات القرن الماضي، إنها انتكاسة كبيرة. نعم، الزواج من قاصر، وهي في حال العوز الشديد. وهكذا تبقى الفتاة ضحية

مرة أخرى. ألا يكفي أنها تزوجت من رجل يكبرها سناً وبعمر والدها في بعض الأحيان، إلا أنه عليها أيضاً إنقاذ عائلتها من الجوع والفقر المدقع. وتصبح كالمسلعة تباع وتشترى . وكما قالت مديرة المدرسة بأن ما يحدث الآن في العراق لم يكن يحدث حتى في ستينات القرن الماضي، إنها انتكاسة كبيرة فعلا.

إذا عدنا سيدتي إلى الكتاب المقدس الذي دونه لنا أناس الله مسوقين بروح الله القدوس نتعلم ومنذ بداية الخلق أن الله خلق الإنسان آدم وحواء على صورته ومثاله. وقال لهما الله : أثمرا واكثرا واملأ الأرض. كان كلاهما بالغين راشدين. أي كان آدم رجلا مكتملا ناضجا، وكذلك كانت حواء امرأة ناضجة مكتملة. بمعنى أن الزواج الناجح ينبغي أن يكون أولا وقبل كل شيء بين رجل وامرأة ناضجين فاهمين لما هما مقدمان عليه من مسؤولية وبناء للعائلة. أما إذا كانت الفتاة قاصرا كحالة الفتيات الكثيرات الآن في العراق، وفي أماكن أخرى كثيرة في عالمنا العربي، فكيف يمكن أن ينجح هذا الزواج الذي يجمع اثنين لا يتساويان عمرا ولا مستوى ولا إدراكا ولا وعيا؟ الزواج سيدتي ليس لعبة يقوم الزوج بلعبها مع فتاة صغيرة إنما هو سكن ومودة وعائلة ومسؤولية.

يخبرنا الكتاب المقدس عن تضحية رجل من أجل الحصول على امرأة كزوجة وليس العكس. فنحن جميعنا سيداتي نعرف قصة يعقوب الصديق ابن اسحق ابن ابراهيم. فلقد دون لنا الكتاب المقدس بأن يعقوب أحب راحيل ابنة خاله. وكانت راحيل حسنة الصورة وحسنة المنظر. وكان يعقوب يعمل عند خاله راعيا لغنمه. فسأله : ما أجرتك؟ قال يعقوب: أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك . فوافق . ولكن السنين تحولت إلى أربعة عشر سنة بعد أن خدعه خاله إذ استبدل راحيل بأختها ليئة ليلة الزفاف. لكن يعقوب ومن فرط حبه لراحيل عاد وعمل سبع سنين آخر وتحمل الصعاب من أجلها. ويخبرنا الكتاب المقدس عن يعقوب: كنت في النهار يأكلني الحر وفي الليل الجليد وطار نومي من عيني. كل هذا من أجل راحيل التي أحبها. لقد دفع يعقوب الثمن غالبا من أجل زوجته التي أحب راحيل.

المحبة هي أساس العلاقة لبناء بيت سعيد وعائلة سعيدة. هذا ما يعلمنا إياه الكتاب المقدس. أما المصلحة الشخصية ومهما كانت الظروف ، فهي لن تجعل الزواج أو العلاقة تدوم . لأنها سرعان ما تزول حين تتبدل الظروف. هذا هو تعليم الكتاب المقدس من ناحية بناء البيت والعائلة أن يكون كلا الزوجين بحكم المسؤولية، عمرا وانسجاما ونضوجا وفوق ذلك أن تجمعهما المحبة الحقيقية وليست المزيفة . فهل نتعظ؟